

رسالة

إلى الحريص على اغتنام رمضان

كتبها

الراجي عفو ربه

أيمن بن محمد بن عبد الله الحبشي

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ذي الجلال والإكرام، والصلاة والسلام على سيّد الأنام، وعلى آله وصحبه البررة الكرام،  
ومن تبعهم إلى يوم الدين، أما بعد:  
فاعلم - أيها الحريص على اغتنام رمضان - أن من توفيق الله لك، وإحسانه إليك: أن بَعَثَ فيك  
داعي الطاعة، وخلق في نفسك الرغبة في الخير، وما ذلك إلا فضلٌ منه ورحمة، وإنعامٌ منه ومِنَّة، فتأمل  
في آلائه، وأدم شكره على نعمائه.

والاجتهاد في رمضان من سنن النبي عليه الصلاة والسلام، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها  
قالت: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَجْتَهِدُ فِي رَمَضَانَ مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ، وَفِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْهُ مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي  
غَيْرِهِ<sup>(١)</sup>.

ومن ثمّ كانت هذه الرسالة تذكرةً لنفسي ولمن سألها من إخواني بجملةٍ من الأمور باختصار  
وإيجاز، منها ما يختصُّ برمضان، ومنها ما يتعلّق بالعمر كلّهُ، لكنه يتأكّد في شهر الصيام.  
والله أسأل أن ينفع بها كل مَنْ قَرَأَهَا، أَوْ سَمِعَهَا. إنه سميع قريب.

اعلم - أخي الحريص - أن:

• أعظم الأعمال وأجلها:

هو الإخلاص لله جل وعلا، ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [البينة: ٥] ، فلن تنفع

العبد صلواته، ولا قراءاته، ولا اجتهاداته إذا لم تكن النية خالصةً لوجه الله تعالى.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((رُبَّ صَائِمٍ حَظَّهُ مِنْ صِيَامِهِ الْجُوعُ وَالْعَطَشُ، وَرُبَّ

قَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ قِيَامِهِ السَّهَرُ))<sup>(٢)</sup>.

فتذكّر هذا جيّدًا عند خروجك للمسجد، وقراءتك للقرآن، وبكائك، وتضرّعك، ودعائك،

وعمرتك، وصدقتك، بل وفي جميع عبادتك.

(١) رواه مسلم ح ١١٧٥.

(٢) رواه أحمد ٣٧٣/٢، والنسائي في الكبرى ٢/٢٣٩، وابن ماجه ح ١٦٩٠، والطبراني في الكبير ١٢/٣٨٢، وقال الهيثمي في المجمع

فلا تلتفت إلى مدح الناس وثنائهم، فوالله لن ينفعك بشيءٍ، وإنما ينفعك تجريدك العمل لله ﷻ .

- ثم اعلم أن رأس مالك هو فعل الفرائض، والمحافظة عليها، وترك المحارم، والابتعاد عنها:
- فاحرص:

على صلاتك أولاً، فهي عمود دينك، متى أصلحتها أفلحت، ومتى أفسدتها خسرت.

فلا تفوتنك صلاة الجماعة، فعن ابن مسعود رضي الله عنه ، قَالَ: مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ تَعَالَى غَدًا مُسْلِمًا ، فَلْيَحَافِظْ عَلَى هُوَلاءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ ، فَإِنَّ اللَّهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ - ﷺ - سُنَنَ الْهُدَى ، وَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الْهُدَى ، وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هَذَا الْمُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ ، وَلَقَدْ رَأَيْتَنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ، يُهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ<sup>(١)</sup> . و'معنى يهادى: أن يمسكه رجلان من جانبيه بعضديه يعتمد عليهما' قاله الإمام النووي رحمه الله<sup>(٢)</sup>.

وتأمل في حال السلف، فهذا سعيد بن المسيب رحمه الله يقول: ((ما أذن المؤذن منذ ثلاثين سنة إلا وأنا في المسجد))<sup>(٣)</sup>.

وحافظ على خشوعها، والتذلل لله فيها، فعن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الرجل لينصرف وما كتبت له إلا عشر صلواته، تُسْعُها، تُمْنُها، تُبْعُها، سُدُسُها، حُمْسُها، رُبْعُها، ثُلُثُها، نِصْفُها»<sup>(٤)</sup>.

كان السلفُ رحمهم الله إذا صلوا = صلوا صلاة مودع، مستشعرين وقوفهم بين يدي الله. قال الثوري رحمه الله: (لو رأيت منصور بن المعتمر - يصلي = لقلت: يموت الساعة!!)<sup>(٥)</sup>. وقال أبو عبد الرحمن الأسدي: قلت لسعيد بن عبدالعزيز: يا أبا محمد ما هذا البكاء الذي يعرض لك في

(١) أخرجه مسلم ح ٦٥٤.

(٢) شرح صحيح مسلم ١٥٦/٥.

(٣) سير أعلام النبلاء ٢٢١/٤.

(٤) أخرجه أبو داود، ح ٧٩٦، وغيره، وحسنه الألباني.

(٥) سير أعلام النبلاء ٤٠٦/٥.

الصلاة؟! فقال: يا ابن أخي، وما سؤالك عن ذلك؟ قلت: لعل الله أن ينفعني به. فقال: (ما قمتُ في صلاةٍ إلا مثلت لي جهنم)<sup>(١)</sup>.

صلى أبو زُرْعَةَ الرازي رحمه الله في مسجده عشرين سنة بعد قدومه من السفر، فلما كان يوماً من الأيام قَدِمَ عليه قومٌ من أصحاب الحديث، فنظروا فإذا في محرابه كتابةٌ، فقالوا له: كيف يقول في الكتابة في المحارِبِ؟ فقال: كرهه أقوام ممن مضوا. فقالوا له: هو ذا في محرابك كتابة! أو ما عَلِمْتَ به؟! قال: سبحان الله! رجلٌ يدخلُ على الله ﷻ، ويدري ما بين يديه؟!<sup>(٢)</sup>.

فانظر - رحمك الله - إلى شدة إقباله على الصلاة، كيف جعلته لا يدري عن كتابةٍ في محرابه منذ عشرين سنة!!

ولا تكن ممن يتهاون في تكبيرة الإحرام، والصف الأول. قال إبراهيم التيمي رحمه الله: (إذا رأيت الرجل يتهاون في التكبيرة الأولى فاغسل يديك منه)<sup>(٣)</sup>.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: (للعبد بين يدي الله موقفان: موقف بين يديه في الصلاة، وموقف بين يديه يوم لقائه، فمن قام بحق الموقف الأول: هُوَنَ عليه الموقف الآخر، ومن استهان بهذا الموقف ولم يوفه حقّه: شُدُّدٌ عليه ذلك الموقف)<sup>(٤)</sup>.

وإياك أن تكون ممن يحرص على التراويح والقيام أكثر من حرصه على الصلوات المفروضة!!، فهو حال من يبحث الربح، ويضيع رأس المال.

ثانياً: احرص على أن تكون من أبرّ الناس بوالديك.

فعن ابن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى؟ قَالَ: ((الصَّلَاةُ عَلَى وَاقْتِنَا)) قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: ((بِرُّ الْوَالِدَيْنِ)) قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: ((الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)) متفقٌ

(١) سير أعلام النبلاء ٨ / ٣٤.

(٢) تاريخ دمشق ٣٨ / ٣٢.

(٣) حلية الأولياء ٤ / ٢١٥.

(٤) الفوائد ص / ٢٩١.

عَلَيْهِ<sup>(١)</sup>.

فانظر كيف كان برُّهما أحبَّ إلى الله تعالى من الجهاد الذي فيه بذل النفس لله، فكيف بغيره؟، فاحذر أن تجتهد في أيِّ عمل على حساب بر الوالدين.

واحذر أن تقدّم على والديك: رحلة - ولو لطاعة، كعمرة مستحبة - ، أو جلسة - ولو مع الصالحين - ، فربَّ امرئٍ فعلَ ذلك، وهو يظنُّ أنه يحسنُ صنْعًا، وإنما خذله الشيطان - والعياذ بالله - ، فصَرَفه عن أحبِّ الأعمال إلى الله بعد الصلاة.

فالموقف من كان بارًا بوالديه كلَّ وقت، فإذا دخل رمضان زاد برًا على برِّ، وفضلًا على فضلٍ، فتراه قاضيًا لحاجاتها، باشًا في وجوهها، مقدّمًا لها على نفسه، وزوجها، وولده.

ثالثًا: احرص على أن تحفظَ لسانك من الوقوع في أيِّ مُسَلِّم، واشتغل بعيوبِ نفسك عن عيوب غيرك، فإن لك في عيوبِ نفسك سُغلاً.

واحذر أن تتساهل - ولو في كلمة - ، فربما حِطَّ عملك وأنت لا تشعر، واستحضر دائمًا أن الله يَسْمَعُكَ، فلا يسمع منك إلا ما يجب، وتذكر قوله تعالى: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].  
عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَنْبَغُ فِيهَا يَزُلُّ بِهَا إِلَى النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ)) متفق عليه<sup>(٢)</sup>.

ومعنى: ((يَنْبَغُ)) يُفَكِّرُ أَتَمًّا خَيْرًا أَمْ لَا.

قال الإمام النووي رحمه الله: "اعلم أنه ينبغي لكلِّ مُكَلَّفٍ أَنْ يَحْفَظَ لِسَانَهُ عَنْ جَمِيعِ الْكَلَامِ إِلَّا كَلِمًا ظَهَرَتْ فِيهِ الْمَصْلَحَةُ، وَمَتَى اسْتَوَى الْكَلَامُ وَتَرَكُهُ فِي الْمَصْلَحَةِ، فَالْسُّنَّةُ الْإِمْسَاكُ عَنْهُ؛ لِأَنَّهُ قَدْ يَنْجَرُ الْكَلَامُ الْمُبَاحُ إِلَى حَرَامٍ أَوْ مَكْرُوهٍ، وَذَلِكَ كَثِيرٌ فِي الْعَادَةِ، وَالسَّلَامَةُ لَا يَعْدِلُهَا شَيْءٌ"<sup>(٣)</sup>.

وصدق رحمه الله، فقد رأينا أن الكلام إذا خرج إلى فُضُولِ الْمُبَاحِ = جرَّ كثيرًا إلى مكروهه ومحرمه.

(١) البخاري ح ٥٠٤، مسلم ح ٨٥.

(٢) البخاري ح ٦١١٢، مسلم ح ٢٩٨٨.

(٣) رياض الصالحين ص / ٥٦٩.

رابعاً: احرض على حفظ عينك من النظر إلى الحرام؛ فإن له أثراً عظيماً في فساد القلب، والنظره سهمٌ مسموم من سهام إبليس.

فلا تستجربنك القنوات الفضائية، ولا الخطوات الشيطانية؛ فتزل القدم، وتنظر العين، ثم يحصل الندم، والسعيد من خاف مقام ربه، ونهى النفس عن الهوى، وألزمها بالتقوى.

والنظرة خطوة من خطوات الشيطان، وربما تلاها خطوات، والله تعالى يقول: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [النور: ٢١].

وتذكر دائماً أن الله يراك، وأن عينه لا تغيبُ عنك؛ فلا تجعله أهونَ الناظرين إليك، ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠]، فغضُّ البصر فيه زكاةٌ للنفس، وصلاحٌ لها، وقد قيل: (مَنْ حَفِظَ بَصْرَهُ، أَوْرَثَهُ اللَّهُ نُورًا فِي بَصِيرَتِهِ).

كُلُّ الحَوَادِثِ مَبْدَاهَا مِنَ النِّظَرِ ... ومعظم النار من مُستصغِرِ الشَّرِّ  
كم نظرة فتكت في قلبِ صاحبِها ... فتك السهام بلا قوسٍ ولا وترٍ  
والمرء ما دام ذا عينٍ يقلبُها ... في أعينِ الغيدِ موقوفٌ على الخطرِ  
يسرُّ مقلته ما ضرَّ مهجته ... لا مرحباً بسرورٍ عادٍ بالضرر

قال الإمام ابن مفلح رحمه الله: "وَلْيَحْذَرِ الْعَاقِلُ إِطْلَاقَ الْبَصْرِ، فَإِنَّ الْعَيْنَ تَرَى غَيْرَ الْمُقْدُورِ عَلَيْهِ عَلَى غَيْرِ مَا هُوَ عَلَيْهِ، وَرُبَّمَا وَقَعَ مِنْ ذَلِكَ الْعَشْقُ، فَيُهْلِكُ الْبَدْنَ وَالدِّينَ، فَمَنْ ابْتُلِيَ بِشَيْءٍ مِنْهُ، فَلْيَتَفَكَّرْ فِي عُيُوبِ النِّسَاءِ" (١).

ومن ترك النظرة المحرمة خوفاً من الله تعالى = أورثه الله حلاوة العباداة، يقول الإمام الغزالي رحمه الله: "وهذا شيءٌ مجربٌ علمه وتحققه من عمل به، أنه إذا امتنع عن النظر إلى ما لا يعنيه = يجد لذةً للعبادة وحلاوة، وللقلب صفوةً لم يجدها قبل ذلك" (٢).

(١) الفروع ٨ / ١٨١.

(٢) منهاج العابدين ص / ١٦٣.

خامساً: احرص على صلّة ذوي رَحِمِكَ، فإن قطيعتها من كبائر الذنوب.

وقد يُجرّم العبد من التوفيق بسبب قطيعته لرحمه؛ فإن الله يَصِلُ من وَصَلَ رَحِمَهُ، ويقطع من فَطَعَ رَحِمَهُ - والعياذ بالله - .

وعَنْ أَبِي بَكْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجَّلَ اللَّهُ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ))<sup>(١)</sup>.

• فهذه الأمور تجب المحافظة عليها طول العمر، لا في رمضان فحسب، وإنما حصل التوكيد عليها دون غيرها؛ لكثرة الخلل والتقصير فيها.

• وأما ما زاد عليها: فهو ميدانٌ واسعٌ من المستحبات يتسابق فيها المتسابقون، ويتنافس فيه المتنافسون، وقد ضرب فيه سلفنا الصالح رحمهم الله الأمثلة الرائعة؛ لما عَلِمُوا أن سِلْعَةَ اللَّهِ الجنة، وأنها غالية، فَضَحَّوْا من أجلها بالنَّفْسِ، والنَّفِيسِ.

فمن السُّنن: قيام الليل، وهو أفضل الصلاة بعد المكتوبة.

وهو دليلٌ على فَضْلِ صاحبه؛ فإنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال عن ابنِ عمرَ رضي الله عنهما على إثر رؤيا رآها: ((نِعَمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ)). قال سالمٌ: فكان عبدُ الله - يعني: والده ابنَ عمر - لا ينامُ من الليل إلا قليلاً. رواه الشيخان<sup>(٢)</sup>.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: (فمقتضاه أن مَنْ كان يُصَلِّي من الليل يوصف بكونه نعم الرجل)<sup>(٣)</sup>.

وقال النبي ﷺ: ((عليكم بقيام الليل، فإنه دأب الصالحين قبلكم، وإن قيام الليل قربة إلى الله، وَمَنْهَاةٌ عن الإثم، وتكفير للسيئات، ومَطْرَدَةٌ للداء عن الجسد))<sup>(٤)</sup>.

كان وكيعٌ رحمه الله لا ينامُ حتى يقرأ جزءه من كلِّ ليلةٍ ثلثَ القرآن، ثم يقوم في آخر الليل، فيقرأ

(١) أخرجه الترمذي ح ٢٥١١، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(٢) البخاري ح ١٠٧٠، مسلم ح ٢٤٧٩.

(٣) الفتح ٦/٣.

(٤) أخرجه الترمذي ح ٣٥٤٩، وابن خزيمة ح ١١٣٥، والحاكم ٤٥١/١، وقال: صحيح على شرط البخاري.

المفصل، ثم يجلس، فيأخذ في الاستغفار حتى يطلع الفجر<sup>(١)</sup>.

وكان بَقِيُّ بن مَحَلَّدٍ رحمه الله يختم القرآن كل ليلة، في ثلاث عشرة ركعة، وكان يصلي بالنهار مئة ركعة، ويصوم الدهر<sup>(٢)</sup>.

والتراويح من قيام الليل في رمضان، ومن كرم الله وجوده أن كتب لمن قام مع الإمام حتى ينصرف أجر قيام ليلة، يدل على ذلك: حديث أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: صُمْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ يُصَلِّ بِنَا حَتَّى بَقِيَ سَبْعٌ مِنَ الشَّهْرِ، فَقَامَ بِنَا حَتَّى ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ، ثُمَّ لَمْ يَقُمْ بِنَا فِي السَّادِسَةِ، وَقَامَ بِنَا فِي الْخَامِسَةِ حَتَّى ذَهَبَ شَطْرُ اللَّيْلِ، فَقُلْنَا لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ نَفَلْتَنَا بَقِيَّةَ لَيْلَتِنَا هَذِهِ؟ فَقَالَ: (إِنَّهُ مَنْ قَامَ مَعَ الْإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ كُتِبَ لَهُ قِيَامٌ لَيْلَةً...) الحديث<sup>(٣)</sup>.

ولذا فحريٌّ بالحريص ألا ينصرف قبل انصراف الإمام من آخر ركعة في الوتر حتى ينال هذا الأجر.

وأما من كان له بقية ورد من الصلاة، فإما أن يشفع وتره بعد سلام إمامه، وإما أن يصلي ما شاء شفعا بعد وتره هذا، ولا يوتر أخرى<sup>(٤)</sup>، وحكاها القاضي عياض رحمه الله عن أكثر العلماء<sup>(٥)</sup>.

وذهب بعض الفقهاء إلى مشروعية أن ينقض وتره، بأن يصلي ركعة بعد ذلك، ثم يصلي شفعا ما شاء، ثم يوتر<sup>(٦)</sup>. وتفصيل ذلك وأدلته في كتب الفقه.

واعلم أن الذنوب - أعاذني الله وإياك - سبب حُرْمَانِ الطَّاعَةِ، وقيام الليل:

(١) سير أعلام النبلاء ٩/١٣٨.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٣/٢٩٢.

(٣) أخرجه الترمذي ح ٨٠٦، وقال: حسن صحيح.

(٤) يُنظر: المغني ٢/٥٩٩، معونة أولي النهي ٢/٢٧٧، كشف القناع ٣/٥٧.

(٥) حكاها عنه الإمام النووي رحمه الله في المجموع ٤/٢٤.

(٦) وهو رواية عن الإمام أحمد رحمه الله، قال الإمام الموفق في المغني ٢/٥٩٨: "ولا ترى نقض الوتر؟ فقال: لا، ثم قال: وإن ذهب إليه ذاهب فأرجو؛ لأنه فعله جماعة. وروى عن علي وأسامة وأبي هريرة وعمر وعثمان وسعد وابن عمر وابن عباس وابن مسعود، وهو قول إسحاق".

قال سفيان الثوري رحمه الله: (حُرِّمَتْ قِيَامَ اللَّيْلِ بِذَنْبِ أَحَدِثِهِ خَمْسَةَ أَشْهُرٍ)<sup>(١)</sup>.

• ومن السنن: كثرة قراءة القرآن. ففيه حياة القلوب، وشفاء الصدور.

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:

.[٥٧]

وما أسعد من جعل لمدارسة القرآن نصيباً من ليله في رمضان، كما كان النبي ﷺ يفعل، عندما كان

يلقاه جبريل عليه السلام كل ليلة من رمضان، فيدارسه القرآن<sup>(٢)</sup>.

كان الإمام محمد بن إسماعيل البخاري (صاحب الصحيح) رحمه الله يجتم في رمضان في النهار كل

يوم ختمة، ويقوم بعد التراويح كل ثلاث ليال بختمة<sup>(٣)</sup>.

وتأمل في قول الله تعالى: ﴿كُنْتُ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكًا لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]،

ما قال: (ليقرؤوا)، أو (ليحفظوا)، بل قال: ﴿لِيَدَّبَّرُوا﴾، وقال سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَدَّبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى

قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤].

قال الثعالبي رحمه الله: (اعلم رحمك الله تعالى: أن تدبر القرآن كفيلاً لصاحبه بكل خير، وأما

الهدرمة والعجلة، فتأثيرها في القلب ضعيف)<sup>(٤)</sup>.

والقراءة في كتب التفسير - ولو كان تفسيراً مختصراً جداً - مما يعين على تدبر القرآن.

• ومن السنن: كثرة الذكر.

فيه تطمئن القلوب، وتنشرح الصدور، والذكر نوعان:

الأول: مقيّد بأوقات مخصوصة، كأذكار الصلوات، والصبح والمساء، ودخول المسجد، والخروج

منه، وأمثال ذلك.

(١) حلية الأولياء ١٧/٧.

(٢) كما جاء في صحيح البخاري ح ٦.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٢/٤٣٩.

(٤) رواه مسلم ح ٣٧٣.

والثاني: مطلق في أي وقت، أي حال، كالتيسبح، والتهليل، والصلاة على النبي ﷺ. والله ﷻ امتدح أولئك ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقَعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ [آل عمران: ١٩١]. وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحيانه<sup>(١)</sup>.

وعن عكرمة رحمه الله: أن أبا هريرة ؓ كان يسبح كل يوم اثني عشر ألف تسيحة<sup>(٢)</sup>، وقيل لأبي الدرداء ؓ - وكان لا يفتر من الذكر - : كم تسبح في كل يوم؟ قال: مئة ألف، إلا أن تخطى الأصابع<sup>(٣)</sup>. وعن عائشة رضي الله عنها قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أَيَّ لَيْلَةٍ لَيْلَةُ الْقَدْرِ مَا أَقُولُ فِيهَا؟ قَالَ: (( قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ كَرِيمٌ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي ))<sup>(٤)</sup>.

ولا تفوت على نفسك كثرة الصلاة على النبي ﷺ كل وقت، وخاصة يوم الجمعة، فعن أوس بن أوس ؓ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (( إِنْ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ، فَإِنَّ صَلَاتِكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ )) . قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ تُعْرَضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرَمْتَ؟! قَالَ: يَقُولُ بَلِيَّتٍ . قَالَ: (( إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ ))<sup>(٥)</sup>.

فاحرص على الذكر بنوعيه: تسعد في الدنيا والآخرة، ويكفي الذاكر شرفاً وفخراً أن الله جل وعلا يذكره. ﴿ فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ [البقرة: ١٥٢]، وذكر الإمام ابن القيم رحمه الله في الوابل الصيب للذكر نحو مئة فائدة.

#### • ومن السنن: كثرة الصدقة.

والمؤمن في ظل صدقته يوم القيامة، وَمَنْ أَحْسَنَ فَإِنَّا يُحْسِنُ إِلَىٰ نَفْسِهِ. ﴿ لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ۗ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٩٢].

(١) تفسير الثعالبي (٢/٢٦٩).

(٢) سير أعلام النبلاء ٢/٦١٠.

(٣) سير أعلام النبلاء ٢/٣٤٨.

(٤) رواه الترمذي ح ٣٥١٥، وقال: حسن صحيح.

(٥) رواه أبو داود ح ١٠٤٧، بإسناد صحيح.

قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: ((ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل))، ثم تلا: ﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ حتى إذا بلغ: ﴿يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧] (١).

فهنيئاً لمن تذكّر الفقراء والمساكين، والأرامل واليتامى والمحتاجين، فلم تطب نفسه أن يشبع وهم جائعون، أو أن يأكل وهم يبحثون. ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا تُنْفِسْكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان.

#### • ومن السنن في رمضان: العمرة.

عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: ((فإن عمرة في رمضان تقضي حجة - أو حجة معي)) متفق عليه (٢).

وإذا وفقك الله للاعتبار: فعليك بالسنة في كل شيء، ولا تجعلها مجرد حركات، وخطوات، خالية من الخشوع والخضوع والدعوات.

قال أبو الحباب: سمعت الجريري يقول: أحرم أنس بن مالك ﷺ من ذات عرق، قال: فما سمعناه متكلمًا إلا بذكر الله حتى حل، قال: فقال له: يا ابن أخي هكذا الإحرام (٣).

• ومن السنن: الاعتكاف، فقد اعتكف النبي ﷺ العشر الأواخر من رمضان، واعتكف أزواجه من بعده.

وهو مشروع بكل وقت، وأفضله: العشر الأخيرة من رمضان. والأصح عند الشافعية أن أقله: لبث قدر يسمى عكوفًا، يزيد على زمن الطمأنينة في الركوع، ويجوز فيه الكثير والقليل، حتى ساعة أو

(١) رواه الترمذي ح ٢٦١٦، وقال: حسن صحيح.

(٢) البخاري ح ١٧٦٤، مسلم ح ١٢٥٦.

(٣) طبقات ابن سعد ٧/ ٢١.

لحظة<sup>(١)</sup>. وأقله عند الحنابلة: ساعة<sup>(٢)</sup>، وهو قول الإمام محمد بن الحسن في النفل خاصة<sup>(٣)</sup>، والساعة في عرف الفقهاء: جزء من الزمان<sup>(٤)</sup>، وعند الإمام أبي حنيفة رحمه الله: يوم<sup>(٥)</sup>، والمشهور عند المالكية: يومٌ وليلة<sup>(٦)</sup>، ولذا قال الحنابلة: يستحب ألا ينقص عن ذلك؛ خروجاً من الخلاف<sup>(٧)</sup>.

وإذا وفَّقك الله للاعتكاف: فاحرص على أن تشغل بعبادة ربك، وتُقْبِلَ عليه بِكُلِّيتِكَ، فكم من امرئٍ ضيَّعَ اعتكافَه في القيلِ والقَالِ، فلا تراه إلا مع فلانٍ وفلانٍ، وكأننا اعتكافه نزهة لأيام، فلا عجب إن خرج من مُعتكفِه كما دخل من غير أن يجد لذلك أثراً، أو يذوق له حلاوة.

وعلى كلِّ حال، فالمكث في المسجد؛ للطاعة = حَسَنٌ مُرَغَّبٌ فِيهِ فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ، ووردَ الحثُّ على ذلك في أوقاتٍ مخصوصةٍ، كالمكث بعد صلاة الفجر إلى ارتفاع الشمس قدر رمح بعد الإشراق، مع الاشتغال بذكر الله، فعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (( مَنْ صَلَّى الْغَدَاةَ فِي جَمَاعَةٍ ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ اللَّهَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ كَانَتْ لَهُ كَأَجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ )) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (( تَامَّةٌ تَامَّةٌ ))<sup>(٨)</sup>.

#### • ومن السنن: كثرة الدعاء.

وهو لحظة اتصال بين العبد وربِّه، يشكو فيها أحزانه، ويبث فيها همومه وآلامه، ويطلب فيها مُبْتَغَاهَ، ويرجو بُلُوغَ ما يتمناه.

والله سبحانه كريمٌ، وقد وعد بالإجابة من دعاه، فقال - وهو أصدق القائلين - ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ

(١) يُنظر: المجموع ٤٨٩/٦، منهاج الطالبين ص ١٨٧، مغني المحتاج ٤٥١/١.

(٢) فاللحظة لا تسمى عكوفاً، وجزم به الإمام الموفق رحمه الله. يُنظر: المغني ٤٩٣/٤، معونة أولي النهى ٤٥٥/٣، كشاف القناع ٣٥٦/٥ ط: العدل.

(٣) وعليه الفتوى عندهم. يُنظر: الاختيار ١/١٩٥، الدر المختار مع حاشية ابن عابدين ٤٩٩/٣ ط: دار المعرفة.

(٤) الدر المختار مع حاشية ابن عابدين ٤٩٩/٣ ط: دار المعرفة.

(٥) يُنظر: الاختيار ١/١٩٥.

(٦) يُنظر: الشرح الكبير مع حاشية الدسوقي ١/٥٥٠.

(٧) يُنظر: كشاف القناع ٣٥٧/٥ ط: العدل.

(٨) رواه الترمذي ح ٥٨٦، وقال: حسن غريب.

أَدْعُوْنِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴿[غافر: ٦٠]﴾، فكم من إنسان ضاقت عليه الدنيا، فخضع لله، وانكسر واطَّرح بين يدي مولاه، وفاضت عينه ذلاً لله، ثم دعاه، مُوقِنًا أنه يَسْمَعُهُ، مُتَحَقِّقًا أنه سيجيبه، ففَرَّجَ اللهُ هَمَّهُ، وكشَفَ غَمَّهُ، وأعطاه سؤله وأمله.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "الدعاء... من أقوى الأسباب في دفع المكروه، وحصول المطلوب، ولكن قد يتخلف عنه أثره: إما لضعفه في نفسه، بأن يكون دعاء لا يحبه الله لما فيه من العدوان، وإما لضعف القلب وعدم إقباله على الله وجمعيته عليه وقت الدعاء، فيكون بمنزلة القوس الرخو جداً، فإن السهم يخرج منه خروجاً ضعيفاً، وإما لحصول المانع من الإجابة من أكل الحرام والظلم ورين الذنوب على القلوب، واستيلاء الغفلة والسهو واللهو، وغلبتها عليها، كما في مستدرك الحاكم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: (ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يقبل دعاء من قلب غافلٍ لاه) <sup>(١)</sup>...

ومن الآفات التي تمنع ترتب أثر الدعاء عليه: أن يستعجل العبد ويستبطئ الإجابة، فيستحسر ويدع الدعاء، وهو بمنزلة من بذر بذراً، أو غرس غرساً فجعل يتعاهده ويسقيه، فلما استبطأ كماله، وإدراكه تركه وأهمله، وفي البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، يقول: دعوت فلم يستجب لي)) <sup>(٢)</sup>...

وإذا اجتمع مع الدعاء حضور القلب وجمعيته بكليته على المطلوب، وصادف وقتاً من أوقات الإجابة الستة، وهي: الثلث الأخير من الليل، وعند الأذان، وبين الأذان والإقامة، وأدبار الصلوات المكتوبات، وعند صعود الإمام يوم الجمعة على المنبر حتى تقضى الصلاة، وآخر ساعة بعد العصر من ذلك اليوم، وصادف خشوعاً في القلب وانكساراً بين يدي الرب، وذلاً له، وتضرعاً، ورقّةً، واستقبل الداعي القبلة، وكان على طهارة، ورفع يديه إلى الله تعالى، وبدأ بحمد الله والثناء عليه، ثم ثنى بالصلاة على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم، ثم قَدَّمَ بين يدي حاجته التوبة والاستغفار، ثم دخل على الله وألح عليه في

(١) المستدرك ١/ ٦٧٠.

(٢) أخرجه البخاري ح ٥٩٨١، ومسلم ح ٢٧٣٥.

المسألة، وتملّقه، ودعاه رغبةً ورهبةً، وتوسل إليه بأسمائه وصفاته وتوحيده، وقدم بين يدي دعائه صدقة، فإن هذا الدعاء لا يكاد يُردُّ أبدًا، ولا سيما إن صادف الأذعية التي أخبر النبي ﷺ أنها مظنة الإجابة، أو أنها متضمنة للاسم الأعظم "أ.هـ بطوله"<sup>(١)</sup>.

• **واعلم:** أن الاجتهاد في رمضان ليس قاصرًا على الليل، بل للنهار منه نصيب.

قال يحيى بن سعيد القطان رحمه الله: ((ما رأيت رجلًا أفضل من سفيان لولا الحديث، كان يصلي ما بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء صلاة، فإذا سمع مذاكرة الحديث ترك الصلاة وجاء))<sup>(٢)</sup>. وقال عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: كان أبي يصلي في كل يوم وليلة ثلاثمائة ركعة فلما مرض من تلك الأسواط أضعفته، فكان يصلي في كل يومٍ ليلة مائة وخمسين ركعة، وكان قرب الثمانين!!، وكان يقرأ في كلِّ يومًا سُبُعاً يختم كل سبعة أيام، وكانت له ختمةٌ في كلِّ سبع ليالٍ سوى صلاة النهار!!<sup>(٣)</sup>.

كانوا يفعلون هذا في غير رمضان، فكيف حالهم في رمضان؟! ، وقد سبق أن البخاري رحمه الله كان يختم في نهار رمضان كلَّ يومٍ ختمة.

• **واعلم:** أن الفراغ نعمة عظيمة مغبون فيها كثيرٌ من الناس، وشتان بين من عمّر فراغه بالصلوات، وتلاوة الآيات، وعمارة المساجد بالطاعات، أو سماع المحاضرات، وبين من ضيّع في القيل والقال، ومشاهدة المسلسلات والمباريات، والانشغال بالانترنت.

فإياك أن تضيّع أوقات رمضان في غير ما يقرب إلى الرحمن، فإنها هي أيامٌ معدودات.

• **واعلم:**

أن المؤمن الصادق هو الذي يمتلأ قلبه حسرةً إن ضاعت عليه سنة، فضلًا عن أن تضيع عليه فريضة، وكان بعض السلف يعزي أخاه إذا فاتته صلاة الجماعة، وكان ابنُ عمر رضي الله عنهما إذا فاتته

(١) الجواب الكافي ص/٦، ٩، ١٠.

(٢) سير أعلام النبلاء ٧/٢٦٧.

(٣) تاريخ دمشق ٥/٣٠٠.

العشاء في جماعة أحيًا بقية ليلته<sup>(١)</sup>.

فإذا فاتك خيرٌ فابك على نفسك، وتحسّر على فواته، وإذا لم تبك، ولم تتحسّر، فابك على عدم بكائك وتحسّر، فإن من عرف عِظَم الطاعة: عرف عِظَم خسارة من فاتته.

• واعلم:

أن بعض العبادات (كالعمرة والاعتكاف مثلاً) لها فقه، فاحرص على تعلمه قبل فعله؛ لتصيب السنة، وتجتنب المحظور.

• واعلم:

أنه يجب عليك المبادرة إلى فعل الواجبات، وترك المحرّمات - ولو داومت عليها حياتك -؛ فإن من قصر في ذلك فهو على خطر، فلا تتأخر في التوبة، ولا تتوانى في الإقلاع عن الذنب، واجعل رمضان نقطة تحول في حياتك.

• وأما المستحبات والمندوبات: فخذ منها ما تُطيق، مع المجاهدة للوصول إلى الكمالات، وعالي الدرجات، فقد أخرج الشيخان في صحيحهما أن رسول الله ﷺ قال: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ خُذُوا مِنْ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا، وَإِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ مَا دَامَ وَإِنْ قَلَّ))<sup>(٢)</sup>.

• واستعن بالله في كل أمورك، وتذكر دائماً:

قول الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [الجاثية: ١٥].  
فعملك منفعته لك، وسيئتك مضرتها عليك.

(١) تاريخ دمشق ٣١/١٢٨.

(٢) البخاري ح ٥٥٢٣، ومسلم ح ٧٨٢.

وقوله تبارك وتعالى: ﴿ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴾ [محمد: ٣٨]. فالله غني عن فعلك الطاعة، أو تركك المعصية، لكنك فقير إلى رحمته ومغفرته.

وقوله جل وعلا: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ ﴾ [النور: ٢١]. فما عملك واجتهادك إلا بتوفيق منه سبحانه ﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [هود: ٨٨].

وهذا آخر هذه الرسالة، والله أسأل أن ينفع بها، ويجعلها خالصة لوجهه الكريم، موجبة لرضوانه المقيم. وأسأله سبحانه أن يوفقني وإياك لما يحبه ويرضاه، وأن يجعلنا ممن قام الشهر وحاز الأجر، وقام رمضان، وليلة القدر، إيماناً واحتساباً، ومن يتعلم ويعمل، إنه أكرم مسؤول، وأجود مأمول، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أخوكم / أيمن بن محمد الحبشي

رمضان ١٤٣٠ هـ - طيبة الطيبة

ثم رُوِّجَتْ وَزِيدَ فِيهَا مَرَاتٍ، آخِرَهَا فِي ٢٦ / ٨ / ١٤٣٣ هـ.